أدب النفوس

تصنيف الإمام الحافظ أبى بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرّى .

رواية أبى القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل عنه

رواية أبى الحسن على بن محمد العلاف المقرى عنه .

رواية الشيخ الأجل الثقة أبى الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف عنه .

رواية الشيخ الإمام العالم شيخ الإسلام موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى عنه .

تحقيـق

أبى موسى عبد العزيز بن محمد المكى

عفا الله عنه

دمنهور ت - ٣٢٨١٩٩/٤٥٠

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

دمنهور ت - ٣٢٨١٩٩/٠٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

ـ أما بعد ـ

فهذا كتاب أدب النفوس تصنيف الإمام الحافظ أبى بكر الآجرِّى رحمه الله ، وهو كتاب مهم ، وترجع أهميته إلى عِظَم شأن النفس فى حياة المسلمين ووجوب البداية بها فى الإصلاح ، فهذا عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول : « إن الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً ، وإن أنفسنا لا تكاد تواتينا إلا على كره ، فينبغى لنا أن نكرهها » . فكيف يكون حالنا وقد تأخر الزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول الحسن البصرى رحمه الله : « إن كان الرجل ليخرج فى أدب نفسه السنتين ثم السنتين » . ويقول ابن سيرين رحمه الله : « كانوا يتعلمون الهَدْى (السيرة والهيئة والطريقة) كما يتعلمون العلم » .

وترجع أهميته أيضا إلى منزلة المصنِّف وكونه من حفاظ المحدِّثين وصاحب سنَّة واتباع فيأتى مصنَّفه ـ بحمد الله ـ خالياً من شطحاتٍ وقعت لكثير ممن كتب فى هذا الباب على غير هَدْى السلف الصالح رضى الله عنهم . فقد قال سفيان بن عيينة رحمه الله : « إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر وعليه تُعْرَضُ الأشياء ـ على خلقه وسيرته وهَدْيه ـ فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل » .

واعتمدت فى عملى على نسخه وحيدة للكتاب موجودة بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة مصوَّرة عن النسخة الموجودة بالظاهرية تحت رقم ٢٤٨ (ق ٢٣ ــ ٢٩) كما فى فهرست الألبانى حفظه الله ، وهى ناقصة من آخرها ، وقد روى ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » بسنده عن الآجرِّى عدة آثار ، هى عندنا فيما وجدناه من هذا الكتاب ، وآثار أخرى ألحقتها فى ذيل الكتاب .

وقد ترجمت للمصنف ترجمة مختصرة تناسب حجم الكتاب ، وجعلت فى آخر

الكتاب فهارس للآيات والآثار والموضوعات وضمنت الحاشية ما ظننت أنه مناسب لها فإن أحسنت وأصبت فمن الله وله الحمد ، وإن أسأت وأخطأت فمِنْ نفسي وأستغفر الله .

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

وكتب

أبو موسى عبد العزيز بن محمد المكي

ترجمة المصنِّف

الاسم : محمد بن الحسين بن عبد الله .

الكنية : أبو بكر .

اللقب : الآجرِّى : بفتح الهمزة الممدودة وتشديد الراء ، وهذه النسبة إلى الآجر . وقيل : ينسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها : آجر .

المولد : سنة ثمانين وميئتين تقريبا ، لقول الذهبى (كان من أبناء الثمانين حين وفاته) ، وقيل : سنة أربع وستين وميئتين لقول الفاسى فى العقد الثمين : أنه كان ابن ستة وتسعين حين وفاته .

الشيوخ : كثيرون منهم أبو مسلم الكجى ، جعفر بن محمد الفريابى ، يحيى بن محمد ابن صاعد ، محمد بن يحيى المروزى ، أبو القاسم البغوى ، أحمد بن عمر بن زنجويه ، أبو شعيب الحرانى ، عبد الله بن صالح بن الضحاك .

التلاميذ : أبو نعيم الأصبهانى ، أبو الحسن الحمَّامى ، عبد الرحمن بن عُمر بن النَّحاس ، أبو الحسين وأبو القاسم ابنا بشران ، على بن أحمد بن عمر المقرئ .. وغيرهم .

العلم : قال الخطيب : كان ثقة صدوقاً ديِّنًا له تصانيف .

قال الذهبى : الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف .

وقال أيضا : كان عالمًا عاملاً صاحب سنة واتباع .

وعدَّه ابن الأثير من حفاظ المحدثين .

العقيدة : عقيدته عقيدة السلف الصالح رضى الله عنهم ، ويكفى أنه صاحب كتاب « الشريعة » .

التصنيف : مصنفاته كثيرة ، المنشور منها : الشريعة ، أخلاق حملة القرآن ، أخلاق العلماء ، الأربعون ، الثمانون ، فرض طلب العلم ، تحريم النرد والشطرنج والملاهى ، الغرباء ، الرؤية ، أخبار عمر بن عبد العزيز ـ تحريم اللواط والزنا .

الوفاة : الجمعة أول يوم من المحرم سنة ستين وثلاثمائة بمكة ودفن بها .

التراجم : سير أعلام النبلاء (١٦ / ١٣٣) .

تذكرة الحفاظ (٣ / ٩٣٦) .

البداية والنهاية (١٤ / ٢٧٠) .

صفة الصفوة (٢ / ٤٧٠) .

الأنساب (١ / ٦٨) .

تاريخ بغداد (٢ / ٢٤٣) .

وغيرها ...

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الحذر من النفس

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرِّى : الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والحمد لله على كل حال ، وصلى الله على محمد النبى وعلى آله أجمعين ، وبالله أستعين .

أما بعد ..

وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل ، وأعاذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه سميع قريب .

اعلم أن الله جل ذكره ذكر النفس فى غير موضع من كتابه بمعانى كثيرة كلها تدل على الحذر من النفس .

أخبرنا مولانا الكريم أنها تميل إلى ما تهواه مما لها فيه اللذة وقد علمت أنها قد نهيت عنه .

ثم أعلمنا مولانا الكريم أنه من نهى نفسه عما نهوا فإن الجنة مأواه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فإذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الإنسان ما سعى . وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى** ﴾ (١) .

---

(١) سورة النازعات الآيات (٣٤ : ٤١) ،

فى معنى نهى النفس عن الهوى قال بعض السلف : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب إلى هواك فاجتنبه ، وقال آخر : الورع إذا رابك شئ فدعه ، وفيه حديث رسو ل الله ﷺ « البر ما سكنت إليه النفس .... » الحديث .

وأخرج ابن جرير (٢٥ / ١٥٠) من كتابه قال : حدثنى على قال : ثنا أبو صالح قال : ثنا معاوية عن على بن أبى طلحة فى قوله : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ قال : ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان =

فإن كان الله تعالى قد نهى عنه انزجر عنه ، فإن تابعته نفسه إلى ما زجرها عنه فليعلم أنه من الله عز وجل ببالٍ ، وأن هذه نفس مرحومة ، فليشكر الله الكريم على ذلك ، ألم تسمعوا رحمكم الله إلى ما أخبركم مولاكم الكريم عن نبي من أنبيائه وهو يوسف عليه السلام قوله : ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم** ﴾ [1] فيقال : إن النفس الأمارة ، المرحومة هي المعصومة التي عصمها الله عز

= وقال : حدثنا عبد الأعلى قال : ثنا ثور عن ابن معمر عن قتادة في قوله ﴿ **أفرأيت الذي اتخذ إلهه هواه** ﴾ قال : لا يهوى شيئا إلا ركبه لا يخاف الله . ا . هـ .

وقال ابن الجوزي في كتابه ذم الهوى (ص ١٢) : وقد روي عن ابن عباس أنه قال : ما ذكر الله عز وجل الهوى في موضع من كتابه إلا ذمه ، وقال الشعبي : إنما سمي هوى لأنه يهوى بصاحبه إلى النار .

(١) سورة الكهف الآية (٥٣) .

نسبه المصنف التبرؤ هذا إلى يوسف صلى الله على نبينا وعليه وسلم ـ غريب جداً ، وفي حاشية النسخة عند هذا الموضع : (الصواب أن هذا من كلام العزيز) . وأيضا هذا غريب جداً .

والصحيح أنه من كلام امرأة العزيز .

وقد جعل الطبري (٧ / ٢٣٨) ذلك الكلام والذي قبله من كلام يوسف ، وقال : (٨ / ١) : يقول يوسف صلوات الله عليه ﴿ **وما أبرئ نفسي** ﴾ من الخطأ والزلل فأزكيها ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ يقول : إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما تهواه ، وإن كان هواها في غير ما فيه رضى الله ﴿ **إلا ما رحم ربي** ﴾ يقول : إلا من يرحم ربي من يشاء من خلقه فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء ﴿ **إن ربي غفور رحيم** ﴾ .

ـ فجعله الطبري قولاً واحداً ولم يحك قولاً غيره .

ـ قال القرطبي (٥ / ٢٠٩) : إذا احتمل أن يكون من قول المرأة ، فالقول به أولى ، حتى نبرئ يوسف من حل الإزار والسراويل .

ـ وقال ابن تيمية في التفسير الكبير (٥ / ٧٧) : وأما ما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة ، وأنه رأى صورة يعقوب عاضاً على يده وأمثال ذلك ، فكله مما لم يخبر الله به ولا رسوله ، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذباً على الأنبياء ، وقدحاً فيهم ، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله ، ولم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفا واحدا ، وقوله ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾ فمن كلام امرأة العزيز كما يدل القرآن على ذلك دلالة بينة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن .... ـ إلى أن قال ـ : وقد قال كثير من المفسرين إن هذا كلام يوسف ، ومنهم من لم يذكر إلا هذا القول ، وهو في غاية الفساد ، ولا دليل عليه ، بل الأدلة على نقيضه . ا . هـ .

ـ وقال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٣٢) : ﴿ **وما أبرئ نفسي** ﴾ تقول المرأة : ولست أبرئ نفسي فإن النفس تتحدث وتتمنى ولهذا راودته لأنها أمارة بالسوء ﴿ **إلا ما رحم ربي** ﴾ أي إلا من عصم ربي ﴿ **إن ربي غفور رحيم** ﴾ ، وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام . ا . هـ .

قلت : يعني بسياق القصة : أن القول السابق له هو قول المرأة في مجلس لم يحضره يوسف .

ـ وقال ابن المنيِّر في حاشيته على كشاف الزمخشري المعتزلي (٢ / ٢٦١) : الصحيح من مذاهب أهل السنة =

يريد قتله أوأخذ ماله أو انتهاك عِرْضه .

فإن قال قائلٌ : لِمَ أَلْزَمْتَنى هـذا الحذر من النفس ، حتى جعلتـهَ أشدَّ حالاً من عدوٍ قد تبينت عداوته ؟

قيل له : إن عدوك الذى يريد قتلك أو أخذ مالك أوانتهاك عِرْضـك ، إن ظفـر منك بما يؤمله منك فإن الله عز وجل يكـفِّر عنك به السيـئات ، ويرفع لك به الـدرجات ، وليس النفس كذلـك ، لأن النفس إن ظفرتْ منك بما تهـوى مما قد نهيت عنه ، كان فيـه هلكتك فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا : فالفضيحة ، مع شدة العقوبة .

وسوء المنزلة عند الله عز وجل مع سوء المنقلب فى الآخرة .

فالعاقل يرحمكم الله يلزم نفسه الحذر والجهاد لهـا أشد من مجاهدة ..... ممـن يريد ماله ونفسه ، فجاهدها عند الـرضـا والغضب ، وكذا أدَّبنا نبينا ﷺ فى غير حديث بقوله ﷺ : المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله عز وجل :

١ ــ أخبرنا محمد قال : ثنا أبـو بكر جعفر بن محمد الفريابى قـال : ثنا المسيِّب بن واضح قال : ثنـا ابن المبارك عن حَيْوة بن شُرَيْح عـن أبى هانئ الخَوْلانى عن عَمْرو بـن مالك عن فَضَالة بن عُبيد قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المجاهد من جـاهد نفسه فى الله عز وجل » (١) .

٢ ــ أخبرنا محمـد بن الحسين حدثنا أبو محمـد يحيى بن محمد بن صاعـد ثنا الحسين بن الحسن المروزى أنبأ ابن المبارك ثنا الليث بن سعد حدثنى أبو هانئ الخولانى عن عمرو ابن مالك الجنبى حدثنى فضالة بن عبيد قال : قال رسـول الله ﷺ فى حجـة الـوداع : « ألا أخبرك بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم ، والمسلم من سلم الناس من لسانه ،

---

(١) رواه ابن الجوزى فى كتاب ذم الهوى (ص ٣٩) من طريق المصنف به .

ــ ورواه المصنف من طريق عبد الله بن المبارك ــ وهو فى كتاب الزهد له برواية نعيم ابن حماد عنه (١٤١) قال : أنا حيوة بن شريح قال : أنا أبو هانئ الخولانى أنه سمع عمرو بن مالك الجنبى يقول : سمعت فضالة بن عبيد يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المجاهد من جاهد نفسه » .

ــ ورواه الترمذى (١٦٢٠ كتاب فضائل القرآن ٢٣ ، باب ما جاء فى فضل من مات مرابطا ٢) عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك به .

ــ ورواه ابن أبى الدنيا (٦٤) فى محاسبة النفس ، باب المجاهد من جاهد نفسه .

قال : حدثنى يعقوب بن إسماعيل أنا حبَّان بن موسى أنا عبد الله به .